

الفصل الثاني

مصر والأنبياء

دعاء آدم الطين

خلق الله آدم بيده وجعل منه نسل كل البشر وإليه جميعاً ينتسبون وقد كان خلق آدم من الطين .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (١)

وكرم الله آدم وأمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا إبليس استكبر ولم يسجد وقال : " يا رب خلقتني من نار وخلقْتَ آدم من طين ، فكيف أسجد له والنار أفضل من الطين " .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِهٰذَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا... ﴿٣٤﴾ (١)

ونكر عبد الله بن عمرو بن العاص قائلاً : لما خلق الله آدم ، مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبالها وأنهارها وبحارها وعاصرها وخرائبها ومن يسكن فيها من الأمم . ومن يملكها من الملوك .

١- سورة طه : الآية ٥٥ .
٢- سورة البقرة : من الآية ٣٠ : ٣٣ .

فلما رأى آدم مصر رأها أرضاً سهلة ذات نهر جارٍ ماؤه من الجنة تنحدر فيه البركة ، ورأى جدلاً من حبالها مكسواً نوراً لا يخلو من نظر الرب ﷻ إليه بالرحمة في نعمة أشجار مثمرة فروعها في الجنة - تسقى بماء الرحمة . فدعا آدم في النيل بالبركة . ودعا لأرض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك على نيلها وجبلها سبع مرات . يا أيها الجبل المرحوم سفحك جنة وترتبك مسكة تدفن فيها عرائس وقال المقرئزي (تدفن فيها غراس الجنة) الجنة أرض حافظة مطبقة رحيمة لا خلقت يا مصر بركة ولا زال بك حفظه .
يا أرض مصر نيلك الجنايا والكنوز ولك البر والثروة سهال نهرك عسلاً .
كثير فيك يا مصر خير ما لم تتجبري وتتكبري أو تخوني فإذا فعلت ذلك عراك عاديك . شرهم لم يغور طيرك) .

ونبي الله آدم هو أول من شاهد هذه المناظر الجميلة من أرض مصر وسعد بها وأسعدته ولذلك كان أول من دعا لها من أنبياء الله ﷻ بما رآه الله فيها من الجمال فدعا لأرضنا بالخير والخصوبة والبركة والرفقة وأن تكون في حفظ الله ﷻ فهو خير حافظا ﷻ .

وقد رأى آدم ﷺ العمار في هذه الأرض أرض مصر من الشرق إلى الغرب وذلك بفضل الله وما جعل فيها من نهر النيل أحد الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة فما يدخل الجنة وما يخرج منها إلا خيراً .
ومن أحبه الله أعطاه ﷻ ملك مصر فمن حمد الله ﷻ على هذا الفضل الذي أعطاه الله آياه كان من السعداء في الآخرة كما جعله الله من السعداء في الدنيا بملك مصر .

وقد رأى آدم عليه السلام فيها جبلاً يشع نوراً قيل أنه حبل النور بسيناء الذي يشع منه نور بفضل الله ﷻ كما أن فيها جبل الطور الذي فيه الوادي المقدس الذي كلم الله ﷻ منه سيدنا موسى عليه السلام عندما أمره الله أن يذهب إلى فرعون يدعوهُ إلى عبادة الله ﷻ .

كما أن بأرض هذا الجبل وادي التجلي وهو المكان الذي تجلى الله ﷻ إليه بالنظر له فدك هذا الجبل خشية من نظر الله ﷻ وذلك لأن سيدنا موسى عليه السلام قد طلب من الله ﷻ أن يرى الله جهرة ولكن الله ﷻ خشى عليه لأنه ضعيف لا يتحمل نظر الله إليه ولكن الله أراد أن يرى موسى هذا الأمر أمام عيناه فقال له (أنظر إلى الجبل إن استقر مكانه فسوف تراني) ، ولكن الله ﷻ لما اطلع إلى الجبل بنور ذاته الإلهية هبط هذا المكان الذي وقع عليه نظر الله ﷻ .
وتلك هي خشية الجبل من الله ﷻ كما أن بهذا المكان الشجرة التي كلم الله منها سيدنا موسى عليه السلام وهي بمدينة سانت كاترين بسيناء مصر وما زالت خضراء إلى يومنا هذا . كما أن الله جعلها آية حيث أن هذه الشجرة لا يعاد زراعتها .

تلك المشاهد مما وصل إلينا ومما لا يصل إلينا مما يعلمه الله وأنبياءه الصالحين جعلت آدم عليه السلام يدعو لأهل مصر بالخير والبركة والرحمة والرأفة .
وقد استجاب الله ﷻ لدعاء آدم فنحن نعيش في مصر بفضل هذا الدعاء المبارك لأن الله أكرم آدم بالعديد من الكرامات منها (١) .

١ - أعمار الأنبياء ص ٩ .

١. أن الله خلقه بيده الكريمة وهو أبو البشر.

٢. أن الله نفخ فيه من روحه .

٣. أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم .

٤. أن الله أعطاه علم كل شيء وعلمه الأسماء كلها .

وأن الله أسكنه الجنة وطرد إبليس منها بعد أن كان يسكن السماء الرابعة وكان يسمى (عزازيل) بعد أن أطاع الله ﷻ ولم يترك مكاناً في الأرض ولا في السماء إلا وسجد فيه لله ﷻ . وقد خلق الله إبليس قبل خلق آدم ﷺ بألفي عام .

ولكنه طرد من الجنة بسبب أنه عصى الله ولم يسجد لآدم كما أمره الله ﷻ مما جعل إبليس يوسوس لآدم أن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فلم يأكل آدم فوسوس إبليس لحواء فأكلت وأطعمت آدم من هذه الشجرة فكان ذلك سبب في هبوط آدم من الجنة إلى الأرض .

وذكر الأوزاعي أن آدم ظل في الجنة مائة عام وأنه لما هبط إلى الأرض ظل يبكي على الجنة سبعين عام وعلى خطيئته سبعين عام وبكى على قتل ابنه هابيل بيد قابيل أربعين عاماً .

وقد عاش آدم ألف عام ، ولما مات آدم^(١) كبرت الملائكة عليه أربع تكبيرات وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في الأرض ثم قالوا (هذه سنتكم يا بني آدم) .

١- البداية والنهاية ص ١١٩ م

دعاء نوح عليه السلام لمصر

ومن الأنبياء الذين دعوا لمصر نبي الله سيدنا نوح عليه السلام ، وهو نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ ، وهو نبي الله إدريس بن مهلاييل بن قنيان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وكان مولد نوح بعد وفاة آدم عليه السلام بمائة وستة وعشرين عام وقد ظل نوح عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى تسعمائة وخمسون عام .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ... ﴾^(١)

وقد كان جملة عمر سيدنا نوح عليه السلام ألف وسبعمائة وثمانون عام^(٢) لقول الصحابي الجليل عبد الله بن عباس : بعث الله نوح وله أربعمائة وثمانون سنة وظل يدعو قومه ألف إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ثلاثمائة عام وقيل أنه لما مات دفن بالمسجد الحرام^(٣)

وقد دعا سيدنا نوح لابنته مصرايم الذي سميت مصر باسمه فيقول بن عباس عن دعاء نوح لمصر . قال : قال نوح (اللهم إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث

١- سورة العنكبوت : من الآية ١٤ .

٢- أعمار الأنبياء ٣٢ .

٣- البداية والنهاية ص ١٤٣م ١ .

العباد ونهرها أفضل أنها الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض ودلها لهم وقوهم عليها) .

ولما دنى قرب أجله نوح عليه السلام قسم الأرض بين أبنائه وأولاده .

١ . فكان حام من نصيبه مصر وسواحلها فلما قدم مصرايم بن حام بن نوح ووصل إلى شاطئ النيل من ناحية العريش قال (اللهم إن كانت هذه الأرض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح وجعلتها لنا منزلاً . فاصرف عنا وبأها ، وطيب لنا ثراها وأجمع ماها ، وأثبت كلاها ، وبارك لنا فيها) وتم علينا وعدك إنك على كل شيء قدير وإنك لا تخلف الميعاد ثم كانت مصر لابن مصرايم الذي كان (يسمى مصر) وسميت باسمه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لنوح سام ، وحام ، ويافث . فولد لسام العرب وفارس الروم والخير فيهم وولد ليافث بأجوج ومأجوج والشرك والسقالبه ولا خير فيهم .

وولد لحام القبط والبربر والسودان أما ابنه الرابع وهو (يام) وقيل أنه هو الذي لم يركب معه السفينة وقال :

﴿...سَعَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ...﴾^(١)

وعن فضلها ومنزلتها عند الأنبياء فقد كانت لها منزلة كبيرة عندهم لما جعل الله في أرضها وأهلها من الخير كما كانت لها مكانة كبيرة عند صحابة

١ - سورة العنكبوت من الآية ١٤ .

رسول الله ﷺ لقول كعب الأحبار (لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت إلا مصر) ف قيل له ولما قال (لأنها معافاة من الفتن ومن أراد بها سوءًا أكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لأهله فيه) .

وعن فضل مصر يقول ابن يونس "سلطان مصر سلطان الأرض كلها" .
وقد ورد في جميع الكتب السماوية الكثير عن فضل مصر منها ما ذكرنا عن ذكرها في القرآن الكريم ومنها ما ورد عنها في التوراة (أنها خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء أقصمه الله) .

وقال داهية العرب (عمرو بن العاص) والى مصر، وأول من ولي حكمها بعد الفتح الإسلامي (ولاية مصر جامعة) .

وقال عمرو بن العاص عن مصر أيضًا (خلقت الدنيا على خمس صور، صورة الطير برأسه و صدره ، وجناحيه وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الأيمن العراق ، وخلق هذه الأمم ما لا يعلمه إلا الله والجناح الأيسر السند والهند ، وخلق من هذه الأمة يقال لها (باسك) وخلق باسك أمه يقال لها (منسك) وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا الله من ذات الحمام إلى مضرب الشمس وشرما في الطير الذنب .

وعن فضل مصر قال الكندي : جبلها مقدس ، ونيلها مبارك وبها الطور حيث كلم الله موسى وبها الوادي المقدس وبها ألقى موسى عصاه يوم الزينة، وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهارون ويوشع بن نون -عليهم

السلام- . ودينال، وأرميا ولقمان ، وعاش بمصر خليل الله إبراهيم وابنه يعقوب ويوسف وأخوته) .

وكان بها ملك سيدنا يوسف عندما جعله الله على خزائن الأرض .

وقد نزل مصر من أولاد سيدنا نوح عليه السلام ابنه (مصرام) لما انفصل عن أرض بابل هو وأولاده وهم (مصر، وقوف، فارق، ماح، ساح، وباح، ياح) وكان نزولهم عند مدينة منف وهي إحدى مدن محافظة الجيزة بمصر وكان عددهم ثلاثين ومازال هذا المكان يسمى بهذا الاسم إلى يومنا هذا .

ولما كبر سن (مصرام) بن نوح أوصى إلى ابنه (مصر) أكبر أولاده ما أن يكون له من أرض مصر من رفح إلى فلسطين ومن أيلة إلى أسوان. وولد لمصر بن مصرع بن نوح أربع أولاد هم (أشمون، أتريب، وصا، قبط) ولذلك تسمى مصر نسبه إلى قبط بن مصر بن مصرام بن نوح ومنها (إيجيب) لأن أولاده كثروا أكثر من أولاد إخوته فغلبوا على بقاعها فعرفت مصر نسبه إليه وإلى أولاده .

ولما مات قبط بن مصر تولى الملك في مصر من بعده أخوه (أشمون) ثم أخيه (صا) من بعده . ثم أخيه (أتريب) من بعده ثم كان من بعد الملوك من الرجال والنساء إلى أن وصل الملك إلى "الوليد بن الريان" أحد ملوك العماليق على مصر وقيل أنه وهو فرعون نبي الله يوسف عليه السلام وسيأتي الحديث عنه فيما بعد .

هجرة خليل الله إبراهيم إلى مصر

هجرته إلى القدس :

لقد هاجر إلى مصر الكثيرين من أنبياء الله ﷺ ومنهم سيدنا إبراهيم عليه السلام فقد أرسله الله ﷻ إلى أهل بابل بالعراق فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وكان أهل هذه البلاد يعبدون الكواكب السبعة ، وكان لهم ملك يسمى "الزمرود" وقد ادعى هذا الملك أنه إله وأنه قادر على كل شيء وأنه يحيى ويميت، فقال له سيدنا إبراهيم: "إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت أنت بها من المغرب إن كنت إله حقاً".

وذلك لقول الله تعالى :

﴿... قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)

وهنا لم يكن لهذا الجبار رد لأن الشمس مسخرة بأمر الله ﷻ تطلع وتغرب بأمره . ولكن مازال سيدنا إبراهيم يدعو قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد ، فلم يؤمن به إلا زوجته "سارة" بنت عمه ملك حران وابن أخيه نبي الله لوط ، ولما كان عيد قومه وذهبوا إلى ساحة العيد جميعاً للعب واللهو والمرح ادعى سيدنا إبراهيم المرض في هذا اليوم وقال إني سقيم .

١- سورة البقرة . من الآية ٢٥٨

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَتَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٥٦﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٥٧﴾ ﴾^(١)

ولم يذهب معهم إلى ساحة العيد ثم ذهب إلى معبدهم وحطم جميع الأصنام الموجودة به، إلا أكبرها لعلهم يعودون إليهم ويسألوا أنفسهم لو أن هذه الآلهة تنفع أحداً لنفعت نفسها، ودافعت عن نفسها، فلما عادوا ووجدوا هذه الآلهة محطمة علموا أن إبراهيم هو الذي فعل ذلك بالآلهة فتوعدوه بالنار. وذلك لقول الله تعالى :

﴿ أَفَجَعَلْتُمْ سُلُوكَ آبَائِكُمْ كَسُلُوكِ الْآلِهَةِ الَّتِي كَفَرْتُمْ بِهِمْ قَبْلَ هَذَا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

فقال البعض : «... سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ »^(٢)
وتوعدوه بأن يشعلوا النار ويضعوه فيها.

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦١﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾^(٣)

١- سورة الصافات : من الآية ٨٨ - ٨٩

٢- سورة الأنبياء - من الآية ٥٨ - ٥٩

٣- سورة الأنبياء - من الآية ١٠

٤- سورة الأنبياء - من الآية ٦٨

وجمعوا الحطب الكثير وأشعلوا به النيران وقيدوا سيدنا إبراهيم من يديه وقدميه وحملوه في جفنه وألقوه من بعيد في هذه النار لشدتها حتى قيل عن شدتها أن لو طيراً مر من أعلاها حرق من شدة النار.

ولكن الله ﷻ أمر النار أن تكون بردًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم فأكلت النار الحبل الذي قيد به سيدنا إبراهيم ولم تضره بشيء وكان سيدنا جبريل عليه السلام يذهب إليه يطعمه ويسقيه وهو في النار حتى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال (أجمل الأيام التي عاشها هي التي كانت في النار).

وكانت كل الطيور والحيوانات والزواحف والحشرات تنفخ في النار لتطفئها عن سيدنا إبراهيم إلا الوزغ فكانت تنفخ لتزيد النار اشتعالاً ولذلك أمر الرسول ﷺ بقتل الوزغ وذلك لقول أم المؤمنين عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "أن إبراهيم لما ألقى في النار جعلت الدواب كلها تطفئ عنه إلا الوزغ فإنه جعل ينفخها عليه" (١).

وقيل أن سيدنا إبراهيم ظل في النار من ٤٠ إلى ٥٠ يوم ولما نجا الله سيدنا إبراهيم من قومه ومن النار حمل زوجته سارة وابن أخيه لوط وهاجر بهما إلى بلاد القدس وعاش بها ولكن الغلاء والجذب والفقر عم البلاد في القدس مما جعل سيدنا إبراهيم يهاجر إلى مصر.

١- البداية والنهاية ١٧١م ورواه أحمد ٢٥٧٠٢.

هجرة إبراهيم إلى مصر^(١)

حصل إبراهيم عليه السلام سارة زوجته وابن أخيه لوط ، وكانت زوجته سارة ذات حسن وجمال بديع لم يكن هناك من النساء من هي في جمالها وكانت عاقراً لا تلد ولما دخل سيدنا إبراهيم مصر مهاجراً بلغ ملك مصر أن رجلاً يسمى إبراهيم جاء إلى مصر ومعه سيده جميلة . فأرسل هذا الملك إلى إبراهيم في طلبه وكانت معه سارة قد رآها الملك فسأل هذا الملك سيدنا إبراهيم عليه السلام : من هذه؟ فألهم الله سيدنا إبراهيم البصيرة وقال له: هي (أختي) لأنه شعر أن هذا الملك قد وقع في قلبه حب سارة زوجته ولو قال إبراهيم له أنها زوجته لغار الملك منه وقتله ليتزوج سارة ولكنه في مثل هذه الحالات يجوز الكذب . للنجاة من العدو .

وقد كذب سيدنا إبراهيم ثلاث كذبات: الأولى عندما قال ﴿... إني

سَقِيمٌ﴾^(٢)

والثانية عندما قال ﴿... بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا...﴾^(٣)

والثالثة عندما قال ملك مصر أن سارة أختي وأرشد سيدنا إبراهيم

سارة أن تقول لهذا الملك إن سألتها : أنها أخت إبراهيم .

١- البداية والنهاية ١٧٣م .
٢- سورة الصافات : من الآية ٨٩ .
٣- سورة الأنبياء : من الآية ٦٣ .

فقال لها يا سارة ليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك فإن سألك :
عنى: قولي أنك أختي وبالفعل استدعاها الملك وسألها عن هذا الرجل فقالت
أنه أخيها وهنا اطمئن الملك لها وأهداها جارية تكون في خدمتها هي "هاجر
المصرية"^(١) وقد دعت سارة الله بهذا الدعاء "اللهم إنك تعلم أنى أمنت بك
وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على الكافر"^(٢)
وحفظ الله سارة من الفتن ومن هذا الملك لأن جمالها كان باهراً وقيل
عن جمالها لم يكن هناك من امرأة ذات جمال بعد حواء مثل سارة^(٣)
وقيل أن ملك مصر هذا كان يسمى "سنان بن علوان بن عبيد بن عويج
بن عملاق" من أولاد سام بن نوح عليه السلام.

ولما وجد إبراهيم خليل الله ونبيه حياته خطر في مصر حمل زوجته
سارة وابن أخيه لوط و "هاجر" جارية زوجته وعاد ليلاً إلى بلاد القدس.
وعاش بالقدس ونظراً لأن زوجته سارة كانت عاقراً ولا تلد أشارت عليه
سارة أن يدخل على هاجر جاريته زوجاً لعل الله يرزقه منها بالولد الذي
ينفعهم في كبر سنهم .

وبالفعل دخل إبراهيم على هاجر المصرية وحملت منه وولدت له ابنه
إسماعيل وكان عمر سيدنا إبراهيم عليه السلام وقتئذ ستة وثمانون عام^(٤) ويعد مولد

١- البخارى ٢٢٥٨ .
٢- للبداية والنهاية ١٦١٧٥ .
٣- البداية والنهاية ص ١٦٧٦ .
٤- أولاد وأحفاد الأنبياء ٢١ .

إسماعيل بأيام دبت الغيرة في قلب سارة زوجة إبراهيم من حمل وولادة جارتها من إبراهيم فأشارت سارة على إبراهيم أن يحمل هاجر وابنها بعيداً عنها فحملها إلى جبال مكة بعد أن حمل لهما سقاء به ماء وحراب به نمر وتركهما في عناية الله بين هذه الجبال لا أنيس ولا جليس إلا الله . وكان هذا المكان صحراء جدباء وأنصرف فقالت له هاجر بعد أن همّ أن يتركها هي وابنها في هذا المكان: لماذا تركتنا هنا ؟

فلم يُجِبْهَا .

فقالت له : لماذا تركتنا هنا ؟

فلم يُجِب .

فقالت له : أالله أمرك بهذا ؟

قال إبراهيم . نعم .

وتركهم ثم دعا ربه قائلاً قول الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(١)

وعاد سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى القدس حيث نقيم زوجته (سارة) وكان يتردد على هاجر وابنها من وقت إلى آخر وقد رزقهم الله بعين زمزم بعد أن

١ - سورة ابراهيم - الآية ٣٧ .

نفذ ما معهم من الماء وجاءت القدائل ومنهم العماليق وعاشوا معهم حول هذا الماء وعُمر هذا المكان وكبر سيدنا إسماعيل مع أولاد هذه القبيلة وتعلم منهم الكثير والكثير وتزوج منهم .

وشاءت الأقدار أن حملت سارة زوجة نبي الله إبراهيم بمولود هو نبي الله إسحاق ، وكان ذلك بعد مولد سيدنا إسماعيل بثلاثة عشر عام بعد أن بشرتها الملائكة بهذا الحمل فقالت : ﴿...أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(١) فقال الله لها :
﴿...أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ...﴾^(٢)

وكبر إسماعيل إلى أن بلغ وأمر الله سيدنا إبراهيم أن يرفع قواعد البيت الحرام هو وابنه إسماعيل لأن طوفان نوح قد أخفى كل معاله .

فرفعها سيدنا إسماعيل مع أبيه إبراهيم ، وقد رأى سيدنا إبراهيم في نومه ابنه يذبح به ورؤيا الأنبياء حقا . فلما هم لينفذ أمر ربه فدى الله سيدنا إسماعيل بكبش من كباش الجنة كان يرعى فيها أربعين عام .

١ . ومن أولاد سيدنا إبراهيم من هاجر المصرية ابنه (إسماعيل) وكان أول من تكلم العربية وعمره ١٤ سنة .

٢ . ومن أولاد سيدنا إبراهيم من زوجته سارة ابنه (إسحاق) .

٣ . ومن أولاده من زوجته قنطورة (يقشان . زمان . ملان . مدين . أشيق ، شوها)

١ - سورة هود : من الآية ٧٢ .

٢ - سورة هود : من الآية ٧٣ .

٤. ومن أولاده من زوجته حجون بنت أهيب (كيسان ، سورج ، لطان.

أميم، نافس)^(١)

وقد أوحى الله ﷻ إلى أولاده إسحاق وإسماعيل بالنبوة وكان من ذريتهم البنون عليهم السلام أجمعين .

ومن أولاد إسماعيل :

ولد لسيدنا إسماعيل اثنتي عشرة ولدًا (نابت ، قيذر ، أدبل ، منشأ ، ماشى ، دما ، أذر ، طيما ، يطور . قيديما ، نبش) وأمهم بنت مضاخ الجرهمية .

أولاد إسحاق :

١. الابن الأكبر وهو عيسو أو (العيص) .

٢. سيدنا يعقوب وهما تؤمان وأمهما هي (رفقة بنت تويثيل الأرمي) .

وأحفاد إسحاق من ابنه يعقوب :

(روبييل ، شمعون ، لاوى ، يهوذا ، يساكر ، زبولون) وأمهم ليا (يوسف ،

بنيامين) وأمهم راحيل أخت ليا لأنه كان من شرعهم الجمع بين الإختين

(دان . نفتالى) وأمهم بلهى جارية راحيل .

١ - أولاد واحفاد الأنبياء ص ٢٦ .

سيدنا صالح عليه السلام

سيدنا صالح عليه السلام هو رسول قوم ثمود وهو منهم فهو صالح بن عبيد بن

ماسح بن عبيد بن حاجز بن ثمود بن عاثر بن إرم ابن نوح عليه السلام .

وكان قومه يسكنون الجبال بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام.

فلما أرسله الله إليهم كذبوه وعاندوه ولم يؤمنوا به إلا أنهم جعلوا له الأمر

أصعب وأصعب فطلبوا منه أن يجعل لهم من هذه الصخرة ناقيةً وأن تكون

لهذه الناقة صفات حدوها له . فتوجه سيدنا صالح عليه السلام بالدعاء إلى ربه

وطلب منه أن يجعل له معجزةً فاستجاب الله له وجعل له ناقة من الصخرة

ولكنه اشترط عليهم ألا يمسوها بسوء لأنهم إن مسوها بسوء سوف ينزل عليهم

عذاب شديد من الله عز وجل ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ هَآءَا شَرِبْتَ وَلِكُمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦٦﴾ وَلَا

تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾^(١)

وكانت هذه الناقة عجيبه ضخمة إذا مشت بين الجبال كانت تعلوها

وإذا ذابت لتأكل تركت لها كل الحيوانات هذا المكان، وكانت إذا شربت

الماء شربت كل الماء، فاشتكى القوم إلى سيدنا صالح عليه السلام هذا الأمر فأمرهم

أن يشربوا الماء يوم والناقة تشرب يوم وفي اليوم الذي تشرب الناقة فيه الماء

لا يكون لهم ماء فيشربون من لبنها .

١ - سورة الشعراء : من الآية ١٥٥ - ١٥٦

وطل يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ ولم يستجيبوا ولكنهم عرفوا أن هذه الناقة دليل على كفرهم فقرروا ذبح هذه الناقة مع أن سيدنا صالح عليه السلام حذرهم من ذلك ، وكان الذي تولى هذا الأمر منهم رجل يقال له (أحيمر) وقال رسول الله عن هذا الرجل أنه أشقى الناس لقول عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ :

"ألا أحدثك بأشقى الناس، رجلان أحدهما أحيمر ثود الذي عقر الناقة، والذي يضريك يا عمار على هذا حتى يبيل منها هذه" (١)

وكان ذبح الناقة يوم الأربعاء فبشرهم رسول الله بالعباب بعد اليوم الثالث فمضى اليوم الأول وهو الخميس ، ومضى اليوم الثاني وهو الجمعة ، ومضى اليوم الثالث وهو السبت وفي فجر اليوم الرابع أنزل الله ﷻ عليهم العذاب حتى أصبحوا جثثاً هامدة لا أرواح فيها ولم يبق منهم إلا جارية كانت تسمى (كلبه بنت السلف) وكانت هذه الجارية من أكثر الناس عداوة لسيدنا صالح عليه السلام ، فخرجت لتخبر الناس بما حدث لقومها ثم استسقت من هؤلاء القوم وبعد أن أخبرتهم بما حدث لقومها وشريت من مائهم ماتت .

وقد ورد أن الناقة عندما ذبحها هذا الأحمق نظرت إليه نظرة سخرية واستهزاء لأن هذا لم ينف الكفر عنهم .

وجعل الله هؤلاء القوم آية وعبرة لغيرهم وقد مر رسول الله ﷺ بديار قوم
شود وهو في طريقه إلى غزوة تبوك ٥٩ هـ ، وأمر من معه ألا يدخلوا هذه الديار
وإن دخلوها أن يبكوا وإن لم يبكوا فليتبأكوا ، وذلك لقول رسول الله ﷺ :
"إنني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم" .

ولقول عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين . فلا تدخلوا عليهم لا
يصيبكم ما أصابهم" .

وسيدنا صالح عليه السلام من الأنبياء الذين عاشوا على أرض مصر ودفن فيها
لقول رسول الله ﷺ : " ما مات نبي إلا بالأرض التي يحب أن يدفن فيها" .
وقبر سيدنا صالح مازال معلوماً ومعروفاً إلى يومنا هذا بسيناء على بعد
ثلاثة كيلو مترات من مدينة (سانت كاترين) بسيناء مصر على يسار مدخل
هذه المدينة ، وقد شاهدت هذا القبر المكتوب عليه قبر نبي الله صالح عليه السلام ،
وبالقرب من قبره بقليل من الأمتار قبر نبي الله هارون أخا سيدنا موسى
عليهم السلام أجمعين .

سيدنا إدريس عليه السلام

نبي الله إدريس سماه الله بإدريس لكثرة تدارسه في الكتب وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في العديد من الآيات نذكر منها قول الله تعالى :

﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۗ ﴾^(١)

ونبي الله إدريس هو أول من خط بالقلم ، وكان كثيراً ما يعمل الخيرات فلا يمسي حين يمسي وليس في الأرض نبي أفضل منه عملاً وقد رفعه الله مكائلاً علياً ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۗ ﴾^(٢)

وقيل: أنه رفع إلى السماء الرابعة وأن قد رفع حياً مثلما رفع الله سيدنا عيسى عليه السلام ، وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وآله ، بالسماء الرابعة ليلة الإسراء والمعراج .

وقيل أن نبي الله إدريس عليه السلام هو أول من علم الله سبحانه علم النجوم والكواكب والحساب وسيرها ، وقد ورد أنه نام ذات يوم واشتد عليه حر الشمس فقام وهو في كربٍ من ذلك وقال : " اللهم خفف عن ملك الشمس حرها وأعنه على ثقلها فإنه يمارس ناراً حامية"^(٣)

١ - سورة مريم : الآية ٥٦ .
٢ - سورة مريم : الآية ٥٧ .
٣ - مصر ٢٤ .

فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه ويتولون أمره وعمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس : يا رب من أين لي هذا ؟

قال الله تبارك وتعالى : "دعا لك رجل من بني آدم يقال له أدريس" .

فسأل ملك الشمس إدريس : أتريد حاجة ؟

قال إدريس عليه السلام : نعم وددت أني لو رأيت الجنة ، فرفعه على جناحه ثم طار به فبينما هو في السماء الرابعة ثم التقى ملك الشمس بملك الموت فسلم عليه ملك الشمس فقال ملك الموت : "سبحان الله الذي ورائي معنى رفعته هنا ؟ قال ملك الشمس : "رفعته لأريه الجنة" .

فقال ملك الموت : "فإن الله تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في

السماء الرابعة قلت : يا رب وأين إدريس في السماء الرابعة ؟

فنزلت ، فإذا هو معك ، وقبض ملك الموت روح نبي الله إدريس وهو في السماء الرابعة ، ونبي الله إدريس هو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قنان بن أنوش بن شيث بن آدم وهو أول من أعطى النبوة بعد آدم وشيث .

ونبي الله إدريس هو المعروف أنه (خنوخ) أو هرمس الهرامسة ، ومعناها عطارد وقيل أنه أزوريس ، وقد عاش في الأرض ثلاثمائة عام ، والمعروف أن خنوخ أو هرمس أو زوريس من ملوك مصر الذين ذكرهم التاريخ المصري القديم .

يوسف وإخوته

دخول يوسف مصر بعد كيد إخوته له :

هو نبي الله يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن نبي الله وخطيله إبراهيم عليهم السلام أجمعين .
ولذلك يقول رسول الله ﷺ : " هو الكريم ، بن الكريم ، بن الكريم ، بن الكريم " .

أمه هي " راحيل " بنت لبان وإخوته هم :

- ١ . بنيامين من أمه راحيل .
- ٢ . (جاد ، أشير ، دينا) وأمهم (زلفى) جارية (لِيَا) .
- ٣ . (راوبيل ، شمعون ، لاوى ، يهوذا ، يساكر ، زبولون) وأمهم (لِيَا) أخت راحيل لأنه كان من شرع عصرهم أن يجمع الرجل بين الأختين .
- ٤ . (دان - نفتالى) وأمهم (بلهى) جارية راحيل أم يوسف عليه السلام .
وبذلك كان أخوة يوسف عليه السلام أحد عشر ^(١) ولدًا وبناتًا وهى التى تسمى (دينا) .

وقد رأى أبيه يعقوب عليه السلام الصلاح والفلاح وقد ظهرت عليه علامات النبوة منذ صغره وطفولته؛ لذلك كان يعقوب يحبه أكثر من إخوته ، ومن علامات النبوة على سيدنا يوسف عليه السلام وهو صغير أنه رأى أحد عشر كوكبًا

١ - اولاد واحفاد الانبياء ص ٤٢ .

والشمس والقمر له ساجدين فقص هذه الرؤيا على أبيه فأوصاه أبوه ألا يخبر بهذا الأمر أحدًا خوفًا لما فهمه أبوه يعقوب من هذه الرؤيا ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَأَتَّقُصَّ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

وكان إخوة يوسف يحقدون عليه وهم المعروفين بين كتب السيرة بالأسباط ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ : " استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان فإن كل ذي نعمة محسود " (٢)

وقد ورد أن الكواكب التي رآها يوسف ساجدةً له هي (جريان ، الطارق ، ذوالكتفان ، قابس ، وثاب ، عمودان ، الفليق ، المصبح ، الضروح ، ذوالفرع ، الضياء ، النور ، الذيال) (٣)

وهذه الكواكب الإحدى عشر هم إخوته والشمس هي خالته التي هي في منزلة أمه والقمر هو أبيه يعقوب الذين دخلوا في طاعته عندما كان جلس

١ - سورة يوسف : من الآية ٤ : ٦ .
٢ - البداية والنهاية ص ٢٢٤ م ١ .
٣ - البداية والنهاية ص ٢٢٥ م ١ .

على عرش مصر وخرائن الأرض كما سيأتي فيما بعد ، وهنا حمل إخوة يوسف في قلوبهم من يوسف وقالوا (إن أبانا لفي ضلال مبين) ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَبِئْسَ مَجْزِيًّا ﴾^(١)

وكانوا يعيشون بأرض القدس ، وفكروا في إبعاد يوسف عن أبيهم بالقتل ، أو بالذبح أو بالتغيب في البلاد أو إلقائه في أحد الآبار .
وذلك لقول الله تعالى :

﴿... لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾^(٢)

واحتال هؤلاء الأسيباط على أبيهم ليأخذوا يوسف ليفعلوا به ما يريدون من غدرٍ وحقدٍ وكيدٍ .

فقالوا لأبيهم : أرسل أختنا يوسف معنا في رحلة الصيد ليلعب ويسرح فقال لهم: إني أخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم مشغولون بالصيد .
ولكنهم ألحوا في الطلب وتعهدوا بالحفظ ليوسف من كل سوء ، فما كان من يعقوب إلا أن أعطاهم أختهم يوسف في هذه الرحلة .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿٦﴾
أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنِّي

١ - سورة يوسف من الآية ٤ ٦

٢ - سورة يوسف من الآية ١٠

لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِمْ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿١٧﴾

ولما ذهبوا به اختلفوا فمنهم من قال نقتله ومنهم من قال : نغيبه في الأرض. واستقربهم الأمر على أن يلقوه في غيابت الجب فخلعوا عنه ملبسه وأذوه بالأفعال والأقوال وأهانوه وعروا جسده ثم ألقوه في بئر ماء وتركوه في هذا العراء وذبخوا شاه وطلخوا قميص يوسف بدمها وتأخروا إلى بعد العشاء وجاءوا أيهم يعقوب يتبكون ويقولون (يا أبانا لقد ذهبنا إلى الصيد وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت مصدق لنا) .

فلما نظر يعقوب عليه السلام إلى قميص يوسف ووجد به دم وأن القميص ليس به خرق لأن الذئب لو أكله لخرق القميص فاطمأن على ابنه أنه مازال حياً ولكنه بكى على غدر وكيد أولاده بأخيهم يوسف وظل يبكي على ذلك إلى أن كف بصره وقال : ﴿...بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

وظل يوسف في البئر وحده في عراء الليل وبزد الصحراء إلى أن أرسل الله له سيدنا جبريل فألبسه قميص أبيه آدم وأطعمه وسقاه كما كان يطعم ويسقى جده إبراهيم في النار من قبل .

١ - سورة يوسف . من الآية ١١ . ١٤

٢ - سورة يوسف من الآية ١٧

وكان هذا البئر قريباً من أحد الطرق التي تمر من عليه القوافل التجارية فذهب أحد رجال هذه القوافل ليبلأ ماءً من هذا البئر فوجد هذا الطفل الصغير فأخرجه وذهب به إلى سيد القافلة المتجهة إلى مصر وفي مصر باعوا يوسف بعشرين درهم قسموها بينهم درهمين درهمين وبذلك دخل يوسف مصر.

وبذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ. قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا عَلَيْكُمْ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَآللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَأَسْرُوهُ بِثَمَنٍ خَمْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرَاتِمَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ... ﴾ (١)

وقد ورد أن سيدنا يوسف قد دعا ربه وهو في البئر بهذا الدعاء .

(يا شاهد غير غائب .

يا قريب غير بعيد .

يا غالب غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً) (١)

فاستغاثت الملائكة لبيكائه بربها لذلك نجاه الله من كيد إخوته برعاية جبريل له في البئر وبأخذ القافلة له وبيعه وكان الذي اشتراه هو "مالك بن دعر" ودخل به مصر وكان سيدنا يوسف قد أعطاه الله هو وأمه شطر الحسن ثم باعه إلى عزيز مصر "أطفير بن روحيب" وكان ملك مصر يومئذ هو "الريان بن الوليد" أحد ملوك العماليق وقيل أنه الذي اشترى يوسف من أفرس الناس لقول عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

١ - سورة يوسف : من الآية ١٩ : ٢٠ .
٢ - أعمار الأنبياء .

(أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته عندما اشترى يوسف "أكرمي مثواه"، وبنيت شعيب عندما قالت لأبيها عن موسى "يا أبت استأجره"، وأبى بكر الصديق حينما استخلف الفاروق عمر بن الخطاب)^(١)
 وقيل أن الريان قد اشتراه من العزيز "أطفيش بن روجيب" وكان سيدنا يوسف قد وهبه الله جمالاً بديعاً حتى أن زوجة العزيز "زليخا" حاولت أن تغريه وتراوده عن نفسه ولكن الله حفظه من الخطايا منذ صغره كما حفظ كل الأنبياء واصطفاهم وعاش يوسف في قصر الريان بمصر.

يوسف في السجن :

وكما وهب الله يوسف حسناً وجمالاً وهبه أدباً وحسن الخلق مما جعل حبه يقع في قلب كل من رآه حتى زوجة العزيز وكانت تسمى (زليخا، وقيل : راعيل) حتى أنها بذلت كل الحيل والأساليب لتقع به في الخطيئة فإن كان قد نجا من كيد إخوته فهل يقع في خطيئة الزنا مما جعل زوجة العزيز تستخلى به وتحاول أن تراوده عن نفسه بعد أن غلقت أبواب القصر ولكنه خاف الله ﷻ وخاف ، سيده كيف يعصى الله وكيف يخون سيده ؟
 ولكنها لا تستطيع أن ترد نفسها عن هذا الجمال وهذا الحسن مما جعلها تلح في هذا الطلب لكن يوسف لم يستجب مما جعلها تقطع قميص يوسف من الخلف من كثرة رغبته فيها وابتعاده عنها ، وقد بدلت له كل أساليب الإغراء والتهديد ولكن الله قد عصمه بعصمته ، فصرخت وذهبت تبكي إلى زوجها وتدعى أنها تستنجد بالحرس من يوسف الذي كان يحاول

١ - البداية والنهاية ص ٢٢٨ م

أن يتعدى عليها ولكن من رأى ذلك شهد بأن كان قميص يوسف قطع من الإمام، فهذا براءة زوجة العزيز زليخا واتهام يوسف ولكن قميص يوسف قد قطع وخرق من الخلف وهذا دليل على براءة يوسف واتهام زليخا ولكن كعادة السياسيين وجد هذا الملك أن يحبس يوسف حتى يزيل التهمة عن زوجته، وقد عابت بعض النساء على زوجة العزيز كيف تفعل ذلك مع غلام لها ولكن زليخا أرادت أن تضعهم في مثل الموقف التي وضعت فيه .

فدعتهم عند مدخل القصر وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وأخرجت يوسف عليهن، فلما خرج يوسف على النسوة شغلن جمالهن وحسنه وأنهن قطعن أيديهن دون أن يشعروا ، ودخل يوسف السجن في مصر وظل في السجن سبع سنين وقد سجن معه خباز الملك وطباخه وقد وجدوا عليه العديد من آيات الصلاح لما أعطاه الله من العلم فكان يفسر لهم الأحلام التي يرونها إلى أن حدث أن الملك رأى بعض الرؤى أنه رأى سبع بقرات ثمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات وقرع الملك من هذه الرؤيا ولم يجد من يفسرها له وقد خرج أحد رجال الملك من السجن الذي كان فيه مع يوسف فدل الملك على يوسف ففسر يوسف للملك هذه الرؤيا بأن سيأتي على مصر سبع سنوات فقر وجدب .وسبع سنوات خير وعليهم أن يأخذوا من الخضر إلى العجاف وعلمهم تخزين الغلال بأن يزروها في سنبلها ومازالت خزائن فرعون موجودة بسياء مصر بمكان يقال له (البتراء) التي كان يخزن فيها الغلال أيام سيدنا يوسف عليه السلام .

وقد ورد ذلك تفصيلاً في القرآن الكريم في سورة "يوسف" ^(١) فلقد استحسب السجن عن الخطيئة ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿... رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۗ﴾ ^(٢)

وهكذا وقع سيدنا يوسف في العديد من المحن والكروب منها ^(٣) :

١. محنة كيد إخوته وإلقائه في الجب .
٢. محنة السرقة والبيع مثل السلعة .
٣. محنة كيد زوجة العزيز زليخا .
٤. محنة السجن بعد العيش الرغيد والقصر .
٥. محنة الجلوس على عرش مصر .
٦. محنة دخول إخوته عليه والعفو عنهم .

يوسف على عرش مصر وخزائن الأرض :

ولما بلغ الملك ما عليه يوسف من الأدب والخلق والعلم قال :

﴿... أَنَا تُؤْنِسُنِي بِهَا اسْتَخْلَصَنِي لِنَفْسِي ... ۗ﴾ ^(٤)

ورفعه مكاناً علياً بجواره حتى أنه قال هذا الملك :

﴿... إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۗ﴾ ^(٥)

١ - سورة يوسف : من الآية ٣٣ .

٢ - أصحار الأنبياء ٧٧ .

٣ - سورة يوسف : من الآية ٥٤ .

٤ - سورة يوسف : من الآية ٥٤ .

ثم طلب يوسف عليه السلام من هذا الملك أن يجعله على خزائن الأرض .
 وذلك لقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(١)

وجلس يوسف على خزائن مصر ولما عرف عنه هذا الملك من الأمانة والصدق والصلاح وكانت مصر في عهد سيدنا يوسف مخزن غلال العالم كله .
 وهنا اعترفت زوجة العزيز بخطيئتها وقالت : ﴿...أَلَكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢)

وقد اشتد الجذب والفقرب بأهل القدس وكان إخوة يوسف يقصدون أرض مصر ليعطوا منها، فدخلوا على يوسف وهو على عرش مصر فأنكرو معرفته ولكنه عرفهم فقد أبعدهم عن أبيهم ليتخلصوا منه ، ولكن الله قدر له خيراً ولكنه أعطاهم ولم يجرمهم وأرسل بقميصه إلى أبيه وقال لهم أجعلوا أخاً لكم هنا حتى تعودوا إلى آبائكم وعادوا إلى مصر بعد أن أعطى كل واحد منهم حمل بعير.

وعندما قربت القافلة التي يعود معها إلى القدس، قال أبوهم ، وهو بأرض القدس : " أنى لأجد ربح يوسف " ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِبْحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْتِنُونِ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾^(٣)

١ - سورة يوسف : من الآية ٥٥ .

٢ - سورة يوسف : من الآية ٥١ .

٣ - سورة يوسف : من الآية ٩٤ : ٩٥ .

ولما عاد إخوته إلى أبيهم يعقوب بالقدس وضعوا القميص على وجه أبيهم كما طلب منهم أخوهم يوسف ، وعندما فعلوا ذلك عاد إلى يعقوب بصره الذي كف منذ أن فقد ابنه يوسف ، ثم جهز يعقوب القافلة ورحل من القدس هو وأولاده إلى مصر ودخلوا على يوسف يقدمون لهم التحية ، وكان ذلك تحية أهل هذا العصر وهو الانحناء القليل ما يقارب السجود وتحققت رؤيا يوسف التي رآها بأن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر قد سجدوا له ، وعاش يعقوب وأولاده تحت طاعة يوسف في مصر إلى أن عاش يعقوب من العمر سبعة عشر عام بمصر تحت طاعة يوسف وقد دخل مصر وعمره مائة وثلاثون عام وبذلك جملة عمر نبي الله يعقوب مائة وسبعة وأربعون عام^(١) وعفا يوسف عن إخوته ثم توفى نبي الله يعقوب بأرض مصر وبكى أهل مصر عليه سبعون يومًا، ثم تم تحنيطه واستأنن يوسف من أهل مصر وخرج ودفن أبيه بمغارة المكفلية بالخليل بفلسطين ، كما أوصاه أبوه حيث دفن في هذه المغارة جده خليل الله إبراهيم وأبيه إسحاق وعاش يوسف على خزائن مصر وإخوته تحت طاعته ، وقد تزوج (زليخا) زوجة عزيز مصر بعد أن مات زوجها ، وقيل أن الله ﷻ قد رد إليها جمالها وشبابها ، وقد اعتذرت إليه على ما كان منها وقالت له : (لا تلمني فقد كان زوجي العزيز لا يأتي النساء) .

وعاشت مع يوسف وولدت له أولادًا منهم (افرائيم - منشا)^(٢)

١ - أعمار الأنبياء ٧٠ .

٢ - مصر ٤٧ .

وعاش يوسف مائة وعشرين عام، ثم مات بمصر وقد أوصى أن يدفن بنفس المغارة التي دفن بها أباؤه وأجداده فحمل إليها ودفن كما أوصى عليه السلام.
 ويذكر أن سيدنا يوسف عليه السلام كان له ديك قد ورثه عن قومه، وكان قد أعلم سيدنا يوسف عليه السلام ثمانين رجلاً من قومه بأمر هذا الديك أنه سيكون على الأرض جباراً يكون على يديه عذاب وهلاك بنى إسرائيل وأن هذا الديك سوف يصرخ حتى يولد هذا الجبار، وبعد سيدنا يوسف بخمسمائة عام سكنت هذا الديك عن الصراخ، فعلم الناس الذين توارثوا هذا العلم أن مولد الجبار قد قرب، وبعدها بالفعل ولد (الوليد بن مصعب) فرعون موسى وإن قيل أنه (رمسيس الثاني) أو منفتحاح ابنه وأياً كانت الأسماء، وقد أخبر سيدنا يوسف أن هذا الديك سوف يسكت عن الصراخ بعد مولد الجبار إلى أن يولد من بنى إسرائيل طفل تكون فيه النبوة، وعلى يديه نجاه بنى إسرائيل من هذا الجبار، وبالفعل سكنت الديك بعد مولد الجبار ثم عاد للصراخ مرة أخرى، فعلم الناس أن هذا المولود قد ولد ثم سكنت الديك، ولما كبر موسى واشتد الإيذاء صرخ الديك مرة أخرى، وهذا دليل على قرب نجاتهم، وكان هذا الوقت هو الذي طلب فيه موسى الإذن من فرعون مصر للخروج ببني إسرائيل من مصر.

وقد خرج هذا الجبار ليلحق بموسى ومن معه، فكان هلاك هذا الجبار بالغرق في البحر كما سيأتي بعد.

موسى ومعجزاته على أرض مصر

مولده بمصر

ولد سيدنا موسى عليه السلام بأرض مصر وهو وأخوه هارون ، وموسى أكبر من هارون بعام وهو موسى بن عمران بن قاهث. بن عازر. بن لاوى. بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(١) عليهم السلام ، وكان فرعون مصر قد رأى في منامه أن عرشه قد انكسر ووقع هو من عليه فاستدعى المعبرون ليفسروا له هذه الرؤيا ، فعرفوا أن ذلك دليل على قرب زوال ملك فرعون مصر لأنهم كانت لديهم البشارات فى كتب السابقين أن زوال ملك فرعون سيكون على غلام من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وهو موسى من ذرية سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فما كان من هؤلاء المعبرون إلا أنهم طلبوا الأجل بعض الأيام حتى يجدوا رداً لفرعون حتى لا يؤذيه ، ولكن خلال هذا الأجل رأى فرعون نفس الرؤيا ففزع واستدعى المعبرون مرة أخرى ، فلم يكن هذه المرة منهم إلا أن قالوا له عن تأويل هذه الرؤيا وأنه سيولد طفل فى هذا الزمان سيكون على يديه هلاك فرعون وزوال ملكه . وهنا فزع فرعون أكثر وأكثر واستدعى الوزراء وكبار رجال دولته وعرض عليهم الأمر . وكان القرار هو ذبح جميع الأطفال الذين يولدون من بنى إسرائيل فيطوف رجال فرعون على بيت بنى إسرائيل يسجلون أسماء النساء الحوامل حتى إذا أتمت إحداهن حملها ووضعت

١ - البداية والنهاية ص ٢٦٣م

قتلوا هذا الوليد ، وقيل أنهم كانوا يبكرون بطن النساء الحوامل وظل فرعون ورجاله يقتلون ويذبحون الأطفال إلى أن ذبحوا عشرين ألف طفل ، حتى لم يكن على أرض مصر من بنى إسرائيل أطفال ولا صبيان وغداً لا يكون عليها شباب ولا رجال يقومون بخدمة وحراسة فرعون نفسه. مما جعل رجال الدولة يفزعون إلى فرعون لحل هذه المشكلة وكان الاقتراح أن تذبح الأطفال عام ويعفى عام من الذبح. وقد ولد موسى في العام الذي يذبح فيه الأطفال وأخوه هارون في العام الذي فيه العفو.

وكان عمران أبو موسى من رجال قصر فرعون فقد طاف ليلةً بزوجه فحملت بموسى وولده ودخل عليها رجال فرعون يفتشون في البيت عن طفل رضيع ، وكانت تجلس أمام التنور وابنها موسى على ثديها، فما كان منها إلا أن ألقت به في التنور وهي مؤمنة بريها أن الله سيحفظه كما حفظ جده إبراهيم من النار من قبل ، ولم يعثر رجال فرعون عليه هذه المرة ولكن نزل بقلبها الحزن والهم فأوحى الله إليها أن ترضعه وأن تلقى به في البحر، وقيل أن عمره حينئذ ثلاث شهور فذهبت إلى نجار فصنع لها صندوقاً من الخشب ، وأرضعت موسى ووضعت في الصندوق ووضعت في اليم ، وقالت لأخته (كلثم) أن تتبعه إلى أين يصل ، وكان النجار الذي صنع الصندوق لها علم هذا الأمر ، فذهب ليخبر رجال فرعون بأمر هذا الطفل فكلما أراد الكلام أمسك الله لسانه ، إلى أن انصرف عن هذا الأمر وظلت أخت سيدنا موسى تتبع هذا

الصدوق إلى أن وصل إلى أمام قصر فرعون حملة الماء في نهر النيل إلى هناك كما أمره الله ، وفتح رجال فرعون فوجدوا فيه طفلاً أسود ، ولما عرف فرعون هم ليأمر بذبحه مثل باقي الأطفال ، ولكن زوجته (آسية بنت مزاحم) قد وقع من عند الله في قلبها حب هذا الطفل لأنها لم يكن لها ولد ، فقالت له : " لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولداً عندما تكبر " . فامتنع فرعون عن قتله و بدءوا في إعداد ما يحتاج إليه هذا الطفل وعرضوا عليه بعض المراضع لإرضاعه ، ولكن الله قد حرم عليه كل المراضع ، فقالت لهم أخته وهم لا يعرفونها : " هل أدلكم على أهل بيت يرضعونه ويرعونه حق الرعاية " فدلتهم على أمه وكانت تسمى (أياذخت) فأرسلوا في إحضارها وجاءت لترضعه وظلت بالقصر بدلاً من الكوخ تعيش في هذا النعيم بعد أن رد الله إليها ابنها كما وعدنا لقول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٦﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ

فَبِضْءِ بَعْدِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْفُرُونَ ﴿١٠٠﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ
 الْمَزْعُومَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ
 لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٠١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
 وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠١﴾

وأكملت أمه رضاعه وعاش في رعاية الله في بيت أسية بنت مزاحم إلى
 أن بلغ أشده وبلغ ثلاثين عام وبينما هو يدخل المدينة وجد رجلان يقتتلان
 فاستغاث به أحدهم على الآخر، وكان من أقاربه فضربه فمات هذا الرجل،
 وقد تكرر هذا الأمر بعد يوم أو عدة أيام وكاد موسى أن يقتل رجلاً آخر إلا أن
 الله أرسل إليه رجلاً مؤمناً يكتُم إيمانه وقال له: "يا موسى، أخرج من هذه
 المدينة لأن الناس يريدون قتلك"، فخرج متجهاً إلى أرض مدين بسيناء
 (سانت كاترين) وقد ظل ماشياً على قدميه يأكل من ورق الشجر سبع أيام،
 إلى أن وصل إلى هذه الأرض الذي قدر الله له العيش عليها، وذلك لقول الله
 تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنَ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ
 فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٢﴾
 قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٠٣﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ

فَأَصْحَ فِي الْمَدِينَةِ خَافِيًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ
يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٠﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ
يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَيْدٌ لَّهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا
قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا
تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٠١﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ
لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿١٠٢﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَافِيًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾

نبوة موسى :

ولما وصل موسى عليه السلام إلى مدين جلس تحت ظل شجرة يستريح من عناء
وتعب السفر، وكان بجوار هذه الشجرة بئر ماء يسقى منه الرجال ، دوابهم
فنظر موسى فوجد امرأتين تقفان على جانب من هذا الماء ، فتقدم إليهما
ورفع غطاء البئر وكان هذا الغطاء لا يرفعه إلا عشر رجال ، فسقى لهن فعدتا
إلى أبيهم فاستعجل أبيهم عودتهم فسألهم عن السبب فأخبرتا بأمر هذا
الرجل وما فعله معهم ، ثم عاد إلى ظل الشجرة يشكو الجوع .
وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١٠٥﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجِدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ
يَسْتَفُونَ وَوَحَدٌ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا

نَسَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى
إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٣﴾^(١)
وكان أبوهما هو نبي الله (شعيب) وكانتا المرأتان ابنتاه هما (يثرون ،
صفورة)^(٢)

ولما سمع شعيب هذا الوصف منهن علم أن هذا الرجل هو من الأنبياء ،
فأرسل ابنتاه في طلبه فلما حضر إليه وكانت بنات شعيب يسرن خلفه في
الطريق وإن أردتا أن تدلاه على الطريق كانت تقذف بحجر في الاتجاه
اللاتي تردنا إرشاده إليه وعرفتا أمانته ، ولذلك عرضت أحدهن على أبيها
أن يستأجره فعرض عليه أن يستأجره ثماني سنوات أو عشر على أن يتزوج
أحدهن فوافق موسى وتزوج الصغرى وهي (صفورة) ، وظل يخدمه ثماني
سنوات يرعى له أغنامه ، وفي التاسعة قال له شعيب : " ما تلده الأغنام من
الذكور هোক فولدت الأغنام في العام التاسع مع كل مولدها ذكور" . وقال له:
" ما تلده الأغنام في العام العاشر من الإناث هোক" ، فولدت الأغنام جميع
مولدها إناث، وهكذا عرف سيدنا موسى نفسه بطعامه ، وذلك لقول رسول
الله ﷺ : [إن موسى أجز نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه]^(٣)

وبعد أن أتم موسى العشر سنين استأذن حماه في أن يذهب إلى مصر
يزور أمه وأخوه هارون فأذن له ، وحمل موسى ما أعطاه حموه من الأغنام في

١ - سورة القصص : من الآية ٢٢ : ٢٤ .

٢ - أولاد أئفلا الأنبفاء ص ٣١

٣ - رواه بن حابه ٢٤٤٤

العام التاسع وفى العام العاشر، أخذ زوجته (صفورة) وابنه (جرشوم) وأعطاه حموه شعيب عصا يهش بها على غنمه وتوجه من مدين (سانت كاترين) إلى مسقط رأسه وبينما هو فى بداية الطريق أتاه أمر الله بالنبوة عند الوادي المقدس بسيناء .

وذلك لقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾^(١)

ولما سار موسى بأهله وكان الجو ليلاً بارداً رأى من بعيد على جانب الطريق ناراً فقال لأهله امكثي هنا لعلى أتى لكم بجذوة من النار أو أجد على النار هدى ، ولما وصل إلى النار وجدها نوراً وهو نور الذات الألهية ﷻ قد اطلع الله بنور وجهه الكريم إلى الشجرة الموجودة بالواد المقدس ، فأضاء ما حولها ، وما زالت هذه الشجرة موجودة حتى الآن وتسمى بالعليقة المحترمة بدير سانت كاترين بطور سيناء .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي - أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا هَتَّتْ بِكَيْفِهَا جَانًّا وَلِيَّ مَدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٢١﴾ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ

وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَتَانِ مِنَ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿١١﴾

وهنا كلم الله سيدنا موسى من الشجرة بالوادي المقدس واختاره واصطفاه للنبوة ليذهب إلى فرعون الذي علا في الأرض وأفسد فيها ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٢)

وطلب سيدنا موسى عليه السلام من الله تعالى أن يرسل معه أخاه هارون لأن هارون كان أفصح من سيدنا موسى ولأن موسى كان بلسانه لثغة من نار لأنه وهو طفل رضيع أمسك بيده لحية فرعون فغضب فرعون ، وحاول قتل موسى ولكن زوجته أسية قالت له: " أنه طفل لا يقصد أحضر بلحة حمراء وجمرة من نار وضعهما أمامه" . فهدى الله سيدنا موسى وهو طفل رضيع إلى الجمرة فوضعها على لسانه فتركت (١٣) به أثر.

وذهب موسى وأخوه هارون إلى فرعون بعد أن شرح الله لهما صدرهما استجابة لدعاء سيدنا موسى لقول الله تعالى :

١ - سورة القصص . من الآية ٢٩ . ٣٢ .

٢ - سورة القصص . الآية ٤

٣ - البداية والنهاية ص ٢٧٦ م ١

﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٦٦﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٦٧﴾
وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٦٨﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٦٩﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٧٠﴾ ﴾^(١)

ودعا موسى وأخوه هارون فرعون إلى عبادة الله الواحد الأحد فتكبر فرعون وعاند وقال : وهل لكم رب غيري ؟ قال موسى : " ربى وربك الله رب العالمين " .

فقال فرعون : " ولكن أنا ربكم الأعلى " .

ولما طال الجدل والحوار بينهما أراد فرعون أن يستميل قلب موسى

وأخيه بقول : ﴿ أَلَمْ نُزَيِّنْكَ فِيْنَا وَلَيْدًا وَلَيْسَتْ فِيْنَا مِنِّ عَمْرِكَ سِنِينَ ﴾^(٢)

ولما لم يجد فرعون بابًا ليضعف فيه موسى قال له : موعدك يوم العيد

لقوله تعالى : ﴿ ... مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ... ﴾^(٣)

يوم الزينة :

وجاء يوم الزينة وكان هذا اليوم يوم عيد للقيبط في مصر وقد جمع

فرعون كل السحرة من مصر وما حولها حتى قيل أنه جمع ثمانين ألفاً^(٤) من

أمهر السحرة ليتصدوا لموسى ، ولما اجتمع الناس وسحرة فرعون في ساحة

المنافسة جاء موسى وجميع السحرة ، فقال لهم موسى : " ألقوا ما معكم "

فألقوا عصيهم وحبالهم فخيّل لهم أنها تسعى وهذا من سحرهم فصفق الجميع

١ - سورة طه : من الآية ٢٤ : ٢٨ .

٢ - سورة الشعراء : من الآية ١٨ .

٣ - سورة طه : من الآية ٥٩ .

٤ - البداية والنهاية ص ٢٨١م ١ .

قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ؕ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۗ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفِكُمْ ۖ وَلَا صَلْبَتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ... ﴿١١﴾

وهنا زادت العداوة بين موسى وفرعون حتى أن فرعون أخذ يحرض القبط ورجاله على إيذاء موسى ومن معه والذين أسلموا لله وآمنوا به .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَيْلَةَ قَالَ سَنَقْتِلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

خروج موسى ببني إسرائيل إلى التية بسيناء :

ما من نبي أرسله الله إلا هاجر إلى بلد آخر ليدعو أهلها إلى عبادة الله ﷻ بعد أن يخونه قومه وقد كان خروج موسى من تحت طاعة فرعون ببني إسرائيل إلى صحراء التية بسيناء وقد ظلوا بها أربعين سنة وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة . وكان هجرة موسى إلى الأرض المقدسة ودخوله صحراء التية بسيناء في عام ١٤٩١ قبل الميلاد هرباً من فرعون مصر وقيل هو (الوليد بن مصعب) وكان مع موسى في هذا الخروج من بنى إسرائيل ٣٥٠٠-٦٠ فرد فوق سن العشرين وما بعدها فكان معه من أولاد وأحفاد

١ - سورة طه : من الآية ٧٠ : ٧١ .
٢ - سورة الأعراف : من الآية ١٢٧ : ١٢٨ .

الأسباط أولاد سيدنا يعقوب من نسل وهم النقباء لقوله تعالى : ﴿... وَبَعَثْنَا

مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا ...﴾^(١)

١. شمعون ٥٩٣٠٠ شخص قائدهم سلو ميئيل بن هور.
٢. جاد ٤٥٦٥٠ قائدهم لياساف بن روعائيل.
٣. يهوذا ٧٤٦٠٠ قائدهم نحشون.
٤. يساكر ٥٤٤٠٠ قائدهم شنائيل بن صوغر.
٥. زبولون ٧٤٦٠٠ عليهم ألياب بن حليون.
٦. يوسف الصديق ٤٥٠٠ عليهم اليشمع بن عميهون.
٧. منسى ٣٢٢٠٠ عليهم جملئيل.
٨. بنيامين ٣٥٤٠٠ عليهم أبيدن بن جدعوني.
٩. دان ٦٢٧٠٠ عليهم أخبعزر بن عمبشيدان.
١٠. أشير ٤١٥٠٠ عليهم محعئيل بن عكرن.
١١. نفتالي ٥٣٤٠٠ عليهم أضيرع بن غيش.
١٢. روبين ٤٦٥٠٠ عليهم أليصور بن شدئيون.

وكان خروجهم في شهر أبيب وقد استأذن موسى الفرعون في الخروج من مصر فأذن لهم ولكن الفرعون ندم كيف يخرجون من تحت طاعته فأمر بتجهيز الجيش يزيد عن المليون ولحق بهم وكان هذا اللقاء الذي طاردهم فيه

١ - سورة المائدة : من الآية ١٢ .

عند شاطئ البحر الأحمر أمام مدينة (سدر) وهنا شعر موسى ومن معهم بالخوف ، العدو من خلفهم والبحر من أمامهم فما كان من سيدنا موسى عليه السلام إلا أن دعا ربه فاستجاب الله له، وأمره أن يضرب البحر بعصاه فضرب موسى البحر بعصاه ، فلم يحدث شيء ، فدعا موسى ربه مرة ثانية وضرب البحر بعصاه، فانفلق البحر اثنتي عشرة طريقاً وكان ذلك عند الفجر وظهور نور الصباح ، وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ ۝

ونجى الله موسى ومن معه ، وغرق فرعون وجنوده ، ولكن الله نجى جسد فرعون ليكون آية للناس من بعده ولكل ظالم .

وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ... ﴿٦٧﴾ ۝

ودخل موسى بمن معه صحراء سيناء في طريقهم إلى الأرض المقدسة ولكن بنى إسرائيل جحدوا هذه النعم وجادلوا سيدنا موسى في الآيات التسع، فكلما أنزل الله عليهم آية لم يشكروه فأنزل عليهم بلاء مثل الجراد والقمل .

١ - سورة الشعراء : من الآية ٦١ : ٦٦ .

٢ - سورة يونس : من الآية ٩٢ .

والضفادع . وجعل ماؤهم دماً وكان كلما نزل بهم بلاءً فزعموا إلى سيدنا موسى
 ﷺ ليدعوا الله ﷻ ليرفع عنهم هذا البلاء ، وهذا العذاب . فیدعوا الله لهم ،
 فيرفع عنهم العذاب ويبدله لهم نعمة ، وقد وعدوه إن رفع الله عنهم هذا البلاء
 أنهم سوف يؤمنون بالله ولكنهم ظلوا على كفرهم وعنادهم فأذلهم الله بالتيه
 أربعين عاماً في صحراء سيناء ، والتي ما زالت تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا
 ومن النعم التي أنعم على بنى إسرائيل بها في التيه أنزل عليهم المنّ والسّلوى
 لقوله تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾^(١) ولكنهم جحدوا .

الميقات وتلقى الألواح :

على أرض سيناء بمصر كان الميقات إذ أختار سيدنا موسى لبيقات
 ربه سبعين رجلاً من المؤمنين من بنى إسرائيل ليعتكفوا معه على جبل الطور
 شهراً ولكن الله قد أتم الميقات أربعين يوماً .
 وكان هذا الميقات في شهر ذي القعدة ، وذلك لقول الصحابي الجليل أبو
 هريرة أن جميع الشهور العربية تنقص إلا شهر ذي القعدة .
 وذلك لقول الله تعالى :

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ...﴾^(٢)

١ - سورة طه . من الآية ٨٠ .
 ٢ - سورة الأعراف : من الآية ١٤٢ .

وأتم سيدنا موسى ﷺ ميقات ربه أربعين يوماً ولما عاد بعد أن تأخر على بنى إسرائيل ثلاثون يوم وقد زادها الله عشر ، وجد بنى إسرائيل يعبدون (عجل) صنعه لهم السامري من الذهب التي تلبسه نساؤهم ، فغضب سيدنا موسى من هذا الأمر وحمل هذا العجل وألقى به في الصخر في الجبل وما زال أثر هذا العجل موجود بوادي (الصينية) بالوادي المقدس بسانت كاترين ، ثم حرق سيدنا موسى هذا العجل وألقى به في النهر لينهى بنى إسرائيل عن عبادته لأنهم قد اتخذوه إلهاً لقوله:

﴿ ... وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝١٧١ ﴾

كما أن الألواح التي فيها شريعة بنى إسرائيل قد أنزلها الله على سيدنا موسى على جبل طور سيناء ، وكان ذلك في السادس من شهر رمضان ، ولما ورد عن نزول الكتب السماوية أن التوراة نزلت في السادس من رمضان ، ونزل الزبور على سيدنا داود في الثاني عشر من رمضان بعد التوراة ٤٨٢ عام، ونزل الإنجيل على سيدنا عيسى في الثامن عشر من رمضان بعد الزبور بألف عام. ونزل القرآن على سيدنا محمد في ليلة القدر من شهر رمضان ، وذلك لقول الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... ۝١ ﴾

١ - سورة طه : من الآية ٩٧ .

٢ - سورة البقرة : من الآية ١٨٥ .

وكان عدد الألواح التي تلقاها سيدنا موسى عليه السلام تسعة ألواح ، وفيها الشرائع والتعليم وهي ما يعرف بالوصايا العشر. وما ورد مضمونها في نص الآيات ١٤٥ إلى ١٥٠ من سورة الأعراف :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أُعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرُّ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ١﴾

وقيل: أنها نزلت في الميقات على جبل طور سيناء ، ولذلك يسمى هذا الجبل بجبل الشريعة .

وكان طول اللوح الواحد عشرة أذرع . وينفس العرض وقد كتبت بقلم من شجرة في الجنة تسمى (الزمرد) وقيل من سدره (المنتهى) .

وقيل: أن سيدنا موسى لما عاد من الميقات ووجد بنى إسرائيل يعبدون العجل أخذته الغضب والانفعال فألقى الألواح فتكسرت فندم سيدنا موسى على هذا الغضب ، ويقول الصحابي الجليل عبد الله بن عباس : أن سيدنا موسى لما ألقى الألواح صام أربعين يوماً كفارة لما كان منه ، ولكن الله ردها إليه وهى ما يعرف بالوصايا العشر وهى ما جاء في نصها :

(بسم الله هذا كتاب الله . من الملك الجبار العزيز القهار . فاعبدني . ولا تشرك بي شيئاً . واشكر لي ولوالديك . إلى المصير أحبك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فأضيق عليك السماء بأقطارها . والأرض برحبها . ولا تحلف باسمي كاذباً . فإني لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمي . ولا تشهد بما لا يعي سمعك ولا تنظر عينيك ، ولا تقف عليه قلبك فإني أوقف أهل الشهادات على شهادتهم يوم القيامة أسألهم عنها ، ولا تحسد الناس على ما أتيتهم من فضلى ورزقي . فإن الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي ، ولا تزن ، ولا تسرق ، فأحجب عنك وجهي ، وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ، ولا تذبج لغيري . فإنه لا يصعد إلى من قربات أهل الأرض إلا ما ذكر عليه اسمي ولا تفجر بحليلة جارك فإنه أكبر مقتاً عندي وأحجب للناس ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك) (١)

١ - سفر الخروج الإصحاح ٣٢ .

الامتطاء :

ولما عاش بنى إسرائيل مع سيدنا موسى بصحراء التية . وقد كان الماء بها قليل وشبه معدوم فطلب من أحد قبائل العماليق أن يشرب من أبارهم فمنعوه فدعا الله ، فأمره الله أن يأخذ عشب من إحدى الشجر وأن يطرحه في الماء المالح ففعل سيدنا موسى ذلك فترسب الملح لأسفل وشرب هو ومن معه وواصل السير إلى أن وصل إلى التية ، حتى قدر الله أن يعيشوا في هذا المكان أربعين عام ، فطلبوا منه الماء فأمره الله أن يضرب الحجر ، فانفجرت اثنتي عشرة عينا كل عين يشرب بها بنو وأحفاد سبط من الأسباط وقيل أن الحجرة التي ضربها سيدنا موسى بعصاه مازالت موجودة بوادي حصى الخطاطين بسيناء ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن الكريم ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَاَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ... ﴾^(١)

ومن النعم التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل في التيه : نزول المن والسلوى عليهم ، وأن ثيابهم كانت تبلى فيردها الله عليهم جديدة كما كانت ، ونجاهم من الفرعون ونجاهم من الغرق .

التجلي لجبل الطور :

كان يوم التجلي هو يوم عرفة لأن الميقات كان في ذي القعدة وأتمها الله على موسى بعشر من ذي الحجة وقد رفع عن موسى الحجب فأراد أن

١ - سورة البقرة : من الآية ٦٠

يرى الله جهرة ولكن الله ﷻ أعلم به من نفسه وأنه عند ضعف لا يطيق ذلك فقال له يا موسى أنظر إلى هذا الجبل وما يحدث له إن بطرت له ، فلما تجلى الله ﷻ للجبل جبل الطور بسناء على بعد عشر كيلو مترات من الوادي المقدس بسيناء مصر ذلك هذا المكان من الجبل الذي نظر الله ﷻ إليه بنظره الكريم ، ويقول الإمام الحسن أن الله ﷻ أوحى إلى الجبل قبل أن يتجلى الله إليه (هل يا جبل تطيق نظري إليك فما كان من الجبل إلا أنه غار ورك في الأرض) .

ويقول أنس لما تجلى الله إلى الجبل أنقسم ستة جبال ووقع ثلاثة منها في المدينة وثلاثة في مكة هي (ثور - حراء - ثبير) .

وأما الثلاثة الذين هم في المدينة : (أحد - رقان - رضوى)

وهنا خر موسى مغشياً عليه ، وصعق مما حدث للجبل ، وكان ذلك يوم الخميس من العشر الأوائل من نبي الحجة .

وقد ورد في القرآن الكريم أمر تجلى الله ﷻ للجبل لقوله تعالى :

﴿... أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِّي...﴾^(١)

﴿... فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا

فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

١ - سورة الأعراف : من الآية ١٤٣ .

٢ - سورة الأعراف : من الآية ١٤٣ .

وفاة موسى بمصر :

لقد رفض بنى إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة وقالوا :

﴿...إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ...﴾^(١)

عندما أمرهم الله بقوله تعالى :

﴿يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ...﴾^(٢)

فأنزلهم الله ﷻ في الصحراء وأنزل عليهم العديد من ألوان العذاب والبلاء ، لأنهم لم يشكروا الله على ما كان من قبل عليهم من النعم فظلوا في التيه أربعين عاماً، إلى توفى سيدنا موسى في نهايتها بسيناء ومازال قبره معلوماً أعلى الجبل بالقرب من دير سانت كاترين ، ومازال هناك أيضاً قبر نبي الله أخيه سيدنا هارون قبل مدخل المدينة بثلاثة كيلو مترات كما ذكرنا من قبل مكتوباً عليه قبر نبي الله هارون .

وقد تولى أمر بنى إسرائيل بعد وفاة سيدنا موسى وأخيه عليهما السلام فتاه نبي الله "يوشع بن نون" وقيل أنه نقل جسد سيدنا موسى ﷻ إلى مغارة الكفلية بالخاليل ليدفنه مع آبائه وأجداده بفلسطين ، وقد كان لسيدنا موسى ﷻ العديد من المواقف التي حدثت على أرض مصر منها : رحلته مع العبد الصالح "الخضر" عند مجمع البحرين وقيل أن مجمع البحرين هما عند

١ - سورة المائدة : من الآية ٢٢ .

٢ - سورة المائدة : من الآية ٢١ .

لقاء بحر الرُّوم وبحر الصين ، وذلك عند مدينة القلزم "السويس" والفرما والتي
مازالت هذه المدن موجودة إلى يومنا هذا.^(١)

ومنها يوم الزينة ، والمن والسلوى ، والميقات وتلقى الألواح ، والتجلي
للجبل والاستسقاء. وحرق عجل السامري . ونزول الوصايا العشر ، وعلى
أرض مصر بنى هامان لفرعون الصرح ليطلع إلى إله موسى جهلاً من فرعون ،
وعلى أرض مصر كلم الله موسى ربه ثلاث مرات من فوق جبل الطور ، وعلى
أرض سيناء كانت معجزات عصى موسى من فلق البحر . واثنني عشرة عين
ليشرب منها بنو وأحفاد الأسباط ، وعليها كان مولده وزواجه وحياته فأرض
مصر مباركة بما خصها الله بهذه الأحداث وبغيرها الكثير والكثير .

يوشع بن نون

يوشع بن نون هو نبي من أنبياء الله ﷺ وهو الذي خلف سيدنا موسى عليه السلام على بني إسرائيل، وهو الذي أكمل بهم السير من التيه بسيناء إلى الأرض المقدسة. وهو الذي شهد مجمع البحرين على أرض مصر مع سيدنا موسى، وهو الذي عاش بالتية بسيناء مع سيدنا موسى وبني إسرائيل، وقد ذكره الله في القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ ... ﴾^(١)

وكان مع يوشع بن نون من بني إسرائيل ٦٥٠٠٠٠ رجلاً فوق العشرين من القادرين على حمل السلاح ٥٥٠٠٠٠ دون ذلك.^(٢)

ويوشع بن نون هو الذي حبس الله الشمس له لقول أبي هريرة قال : قال رسول الله : " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع عندما سار إلى بيت المقدس " ^(٣)

وكان ذلك عندما دخل ببني إسرائيل الأرض المقدسة فاتحاً طاعة لأمر

الله عز وجل : ﴿ يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ... ﴾^(٤)

وقد امتنع هؤلاء القوم من بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة في زمن سيدنا موسى وقالوا { لن ندخلها إن فيها قومًا جبارين } وقالوا لسيدنا موسى عليه السلام :

١ - سورة الكهف : من الآية ٦٠ .
٢ - البداية والنهاية ١٣٥١ .
٣ - رواه أحمد ٨٣٢٢ .
٤ - سورة المائدة من الآية ٢١ .

﴿... فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١)

وكان هؤلاء الجبارين هم العماليق^(٢) فهزمهم يوشع بن نون بفضل الله تعالى رغم كثرة عددهم وقوتهم ، وكان أول مدنتهم التي دخلها هي مدينة (إيجا) وهزمهم وغنم منهم غنائم كثيرة وقد استخلف يوشع بن نون على بني إسرائيل تسعة وعشرين عاماً بعد سيدنا موسى عليه السلام.

ومن معجزات يوشع بن نون أن الشمس كانت حامية وهو يحارب الجبارين فدعا الله فحبسها الله له ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "دعا يوشع بن نون ربه قائلاً: اللهم إني أسألك باسمك الذكي الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك والمخزون والمكنون المكتوب على سرادق المجد وسرادق الحمد وسرادق القدرة ، وسرادق السلطان وسرادق السر ، إني أدعوك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت النور البار الرحمن الرحيم الصادق عالم الغيب والشهادة بديع السموات والأرض ونورهن وقيمهن نو الجلال والإكرام حنان منان جبار نور دائم قدوس حي لا يموت" وهذا ما دعا الله به فحبست الشمس بإذن الله تعالى .
وغزاهم يوشع بن نون بعد أن تقبل الله منه هذا الدعاء وبعد أن دخلها سجداً طاعة لله ولقول الله تعالى :

﴿... أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ...﴾^(٣)

١ - سورة المائدة : من الآية ٢٤ .

٢ - مصر ٨٥ .

٣ - سورة البقرة : من الآية ٥٨ .

دخول سيدنا عيسى مصر

قال تعالى :

﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ... ﴾^(١)

لقد خلق الله عز وجل آدم من قبل بدون أب أو أم فلا عجب أن خلق عيسى بأم ومن غير أب. فقد عاب قوم السيدة مريم العذراء البتول عليها وقالوا لها يا مريم :

(هل تنبت الأرض بغير بذر) ؟

فجالت لهم : ومن الذي أوجد البذرة الأولى ، وسيدنا عيسى عليه السلام أمه هي السيدة مريم بنت عمران وأمها هي {حملة} بنت فاقود بن قبييل^(٢) من العابدات وقد وهبتها أمها لخدمة المعبد وهي في بطنها قبل أن تعرف هذا الحمل نكرًا أو أنثى ولما ولدتها وهبتها لخدمة المعبد فكانت تخدم معبد قومها مع زكريا نبي الله زوج أختها "أشيع" أم سيدنا يحيى عليهم السلام وهذا معناه أن سيدنا عيسى وسيدنا يحيى أولاد خالة وكان حمل أم كل منهما في وقت واحد وكانت أشيع تقول لمريم أختها إن ما في بطني يسجد لما في بطنك .وقد حفظ الله عز وجل سيدنا عيسى عند مولده من الشيطان الرجيم . وذلك لقول الصحابي الجليل أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل إنسان تلده أمه يلكره الشيطان في حضنته إلا ما كان من مريم وابنها ألم ترى إلى الصبي حين يسقط كيف يصرخ"

١ - سورة النساء : من الآية ١٧١

٢ - البداية والنهاية ٣١ : ٢٤٤

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان
عصرتين إلا عيسى بن مريم ومريم " .

وقد قال رسول الله ﷺ " أن كل إنسان مرهون بعقيقته تذبح يوم سابعه
ويسمى ويحلق رأسه " .

وقد تقبل الله دعاء أم السيدة مريم " حمنة بنت فاقود عندما قالت قول
الله تعالى : ﴿ ... وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِكِّ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(١)

وقد جاء الملائكة تبشُر السيدة مريم بهذا الحمل ، وذلك لقول الله تعالى :
﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٢)

ولما حملت وأتم الله عليها حملها خشيت من كلام الناس لأن أكثرهم
جهلاء وقالت : ﴿ ... قَالَتْ يَلْيَتَنِي ميْتُ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَّنْسِيًا ﴾^(٣)
وظلت به داخل المعبد ولما بلغ قومها هذا الأمر من الحمل والولادة عابوا
عليها وذلك لقول الله تعالى :

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾^(٤)

ولكن الله أمرها بالصمت ، وأنطق سيدنا عيسى وهو طفل رضيع في
المهد يرد على هؤلاء الجهلاء وأشار إليهم فانطقه الله وقال :

١ - سورة آل عمران : من الآية ٣٦ .

٢ - سورة آل عمران : الآية ٤٥ .

٣ - سورة مريم : الآية من ٣٠ : ٣٢ .

٤ - سورة مريم : الآية 27 .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَادِ صَبِيًّا ۚ ﴾
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
 أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۗ ﴿١﴾

وفي الوقت الذي ولد فيه سيدنا عيسى كان الرومان هم الدين يحكمون بيت المقدس وكانوا يخافون على عرشهم وملكهم من بنى إسرائيل هؤلاء اليهود وكان الملك الروماني في هذا الوقت هو الملك [هيردوس] الذي أخبره العرافون والمنجمون بخير هذا المولود وأن زوال عرشه على يديه ، وأن هذا المولود سوف يرتفع شأنه ولذلك أمر بقتل أطفال وصبيان بنى إسرائيل مثلما فعل فرعون موسى من قبل .

ولما علم بخبر مريم هذا الملك اشتد غيظًا وأراد أن ينتقم من هذه السيدة [مريم] التي يتهمها قومها بالزنا مع ابن عمها [يوسف النجار] الذي كان يتولى أمرها مع زكريا في المعبد ، وكان مولد سيدنا عيسى عليه السلام عام ٤٢ من ملك أغسطس قيصر .

ولكن الله عز وجل يحفظ عباده الصالحين من الجبارين فذات ليلة رأى يوسف النجار وكان ابن عم السيدة مريم هاتفاً يقول له في نومه [يا يوسف احمل مريم ووليدها واخرج إلى مصر فإن هيردوس يبحث عنها هي وابنها] (٢)

١ - سورة مريم : الآية من ٣٠ : ٣٢ .
 ٢ - مصر ٨٧ .

فقام يوسف النجار في جوف الليل وأخبر مريم بذلك وحملها هي وابنها ورحل بها إلى أرض مصر . أرض الأمن والأمان وقد خرت الأصنام جميعاً في مشارق الأرض ومغاريها وقد تعجبت الشياطين لهذا الأمر، وظهر في السماء مع مولده نجم جديد، ولما سئل عن سبب ذلك قيل هذا دليل على ميلاد عظيم .

ويقول بن عباس : كان عيسى يرى العجائب في صباه إلهاماً من الله فغشا وانتشر ذلك في اليهود وترعرع عيسى بين بنى إسرائيل فخافت أمه فأوحى الله إلى أمه، أن تنطلق إلى أرض مصر واستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَيْثَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾^(١)

وعمل يوسف بن يعقوب النجار بن عم السيدة مريم بين الفقراء في أهل مصر نجاراً وعملت السيدة مريم في الحقول مع نساء مصر، وكانا يقيمان في بيت {الرهقان} الذي سرق ماله ذات يوم فقال عيسى لأمه : "هل تريدان أن أدله على من سرقه؟ " . قالت نعم فقال لها قولي له يجمع لي كل من بالدار وكان معهم في السكن رجلاً مقعداً وآخر أعمى وكانا آخر من يكون الشك حولهما فحمل الأعمى المقعد وسرق مال هذا {الرهقان} ودلهم عيسى على الأعمى والمقعد .

ولما بلغ سيدنا عيسى سبع سنين ذهبت به أمه إلى المعلم ليعلمه مثل باقي أبناء مصر فكان كلما علم المعلم عيسى شيئاً زاده عيسى عليه علماً .

١ - سورة المؤمنون : الآية ٥٠ .

فكان المعلم يعلم عيسى ويقول له : قل [أبجد] .

فقال له عيسى : وما [أبجد] ؟ .

قال المعلم : لا أدري .

فقال عيسى : وكيف تعلمني ما لا تدري ؟

فقال المعلم لعيسى : علمني

فقال عيسى : وهو طفل صغير عمره سبع سنوات وقام المعلم وأجلس

عيسى مكانه .

فقال له عيسى :

١ . الألف ألاء الله .

٢ . والباء بهاء الله .

٣ . والجيم بهجة الله .

وعجب المعلم من ذلك الطفل وعلمه . وكان سيدنا عيسى عليه السلام

أول من فسر كلمة (أبجد) وظل يوسف النجار والسيدة مريم بنصر إلى أن

بلغ عيسى ثلاثة عشرة سنة مات خلالها (هيردوس) الملك الظالم .

وجاء يوسف النجار هاتفاً في المنام يقول له (أحمل الصبي وأمه إلى

أرض فلسطين لأن الملك الذي يطلبهم قد مات) .

عجائب مصر

نيل مصر :

من أكبر عجائب الدنيا نيل مصر الذي يجري على أرضها أكثر من ألفي كيلوا متراً يروافده وأكثر من تسعمائة فرسخ على وجه الأرض من قرية إبدندان في جنوب أسوان إلى نهاية فرعى دمياط ورشيد في الدلتا، وكان قديماً ينقسم عند الدلتا إلى سبع فروع وهو الآن فرعان فقط دمياط ورشيد وقال عنه كعب الأحبار (أن الله يوحى إلى نيل مصر كل عام مرتان . يوحى إليه عند الفيضان ويوحى إليه عند النقصان) وذكر كعب الأحبار أن النيل من أنهار الجنة الأربعة ونهر النيل هو نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان هو نهر اللبن في الجنة).

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص النيل سيد الأنهار، ومن عجائب النيل أنه إذا زادت كل الأنهار نقص النيل، وإذا زاد النيل نقصت كل الأنهار، وأن معظم الأنهار تجرى من الشمال إلى الجنوب والنيل على العكس يجرى من الجنوب إلى الشمال وهو النهر الوحيد الذي يصب في بحر الروم (البحر المتوسط) وهو ينبع من الجنة لقول أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يمج لوجدتم فيه ورقها).

وقال عنه الشاعر عمرو بن معد يكرب

ما النيل أصبح زاخر بمدوده

وجرت له ربح الصبا فجرى لها

عودت كندة عارة محمودة

فأصبر لجمالها وارو سجالها

منارة الإسكندرية :

ومن العجائب التي كانت في مصر منارة الإسكندرية التي عثر عليها الإسكندر الأكبر الذي بنى الإسكندرية وهذه المنارة كان مكتوب عليها عبارات من عصر قوم عاد و ملوك (حمير) وهذه العبارات قد جاءت على لسان سيد قوم عاد وهو يقول (أنا شداد بن عاد . شددت بساعدي البلاد . وقطعت العمال من الجبال والأطواد ، (جمع طود وهو الجبل العظيم) وأنا بنيت العمار التي لم يخلق مثلها في البلاد . وأردت أن ابني ههنا كارم ، وأنقل إليها كل نبي أقدام وكرم قدم من جميع العشائر والأمم . وذلك إذلا خوف ، ولا هرم ، ولا اهتمام ، ولا سقم ، فأصابني ما أعجلنى من أعجلني ، وعما أردت اقطعني مع وقوع ما أطال عمى ومع وقوعه طال همي وشجن ، وقل نومي وسكنى فارتحلت بالأمس بالأمن عن دارى لا لقهر ملك جبار ، ولا لخوف جيش جرار . ولا عن رهبة ولا عن صغار ، ولكن التمام المقدار وبانقطاع الآثار

وسلطات العزيز الجبار . فمن رأى أثرى وعرف حبري وطول عمري ونفاد بصري وشدة حذري ، فلا يغتر بالدنبا بعد فإنها غرارة تأخذ منك ما تعطى وتسترجع ما تولى) .

وقد حمل الإسكندر إلى الإسكندرية أحجار بناؤها من صقلية ، وبلاد أفريقيا عن طريق البحر المتوسط وجعل حول هذه المدينة صور وجعل هذا العمود منارة تهدي إليها السفن القادمة إلى مدينة الإسكندرية ليلاً في هذا الماء الفريد .

وقد أرسل ملك الروم في خلافة الوليد بن عبد الملك أحد خلفاء الدولة الأموية خادماً من خواص خدمه سرّاً ، وكان هذا الخادم ذو دهاء ومكر وخديعة ، وحاول أن يقنع الوليد بن عبد الملك أن تحت هذه المنارة كنوز وذهب ومجوهرات من عهد شداد بن عاد وملوك مصر السابقين الأولين ، فأرسل الوليد العمال لكسر المنارة والمرأة التي تعكس شعاع الشمس ليهتدى بذلك الملاحين إليها .

ولما أوشك العمال على الانتهاء من هدم المنارة أرسلوا إلى الوليد بن عبد الملك أن هذه هي حيلة وأن ما قيل عن الكنوز التي هي تحتها ما هي إلا خدعة، ولكن ما كان ذلك إلا بعد أن نجح ملك الروم فهدم أحد عجائب الدنيا السبع وهي منارة الإسكندرية وقد هرب هذا الخادم الذي أرسله ملك الروم قبل

الانتهاء من هذا الخراب ولم يبق منها إلا أشلاء تدل على غباء ولاة ذلك العصر وأهله .

محاسن مصر :

ما من رحاله من العرب أو من الغرب إلا وسجل في رحلاته أول ما سجل عن جو مصر الجميل وهوائها العليل الذي يجذب كل من عاش فيه أن يعيش باقي عمره في مصر إن أمكن له ذلك ، فما من المدن الأخرى إلا وتمتاز بالحر الشديد أو البرد الشديد إلا مصر ، فتمتاز باعتدال جوها وهذا الاعتدال يكون طول العام ، ومصر من محاسنها أنها كانت في كثير من العصور مخزن غلال العالم يقصدها كل الناس الذين نزل ببلادهم الجذب والغلاء . فلما ولي عمرو بن العاص مصر حدث في عهد سيدنا عمر بن الخطاب مجاعة ، فأرسل عمرو بن العاص إلى المدينة المنورة قافلة تحمل ما يحتاج إليه المسلمون في المدينة ، ويقول أحد الرحالة عن وصف مصر .

١ . ثلاثة شهور لؤلؤ بيضاء . وذلك بزيادة النيل .

٢ . ثلاثة شهور مسكة سوداء موعود الزراعة .

٣ . ثلاثة شهور زمرية خضراء . اخضرار الزرع .

٤ . ثلاثة شهور سبيكة من الذهب لون سنابل القمح وقد طلب عمر بن

الخطاب من عمرو بن العاص يصف له مصر فكتب يقول عن مصر: [مصر قرية عبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها شهر عشرة أيام يكتنفها جبل أعبر ورحل أعفر ويخط وسطها نيل مبارك

الغدوات ، ميمون الروحات تجرى فيه الزيادة والشمس كجري

القمر والشمس] .

أشعار في وصف مصر :

١. قال عمر بن الوردى :

ديار مصر هي الدنيا ومساكنها

هم الأنعام فقابلها بتقبيل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها

مصر مقدمه والشرح للذيل

٢. القاضي شهاب الدين :

ما مثل مصر في زمان ربيعها

لصفاء ماء واعتدال نسيم

أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها

لما نظرت إلى جمال وسيم

٣. أبو الحسن الموصلي :

بها ما تلذ العين من حسن منظر

وما ترتضيه النفس من شهواتها

وتربتها تيريلوح عنبر

يفوح وتلقى بعد بعد حياتها

زمردة خضراء قد زين قرطها

بلؤلؤة بيضاء من زهراتها

الأهرام :

أهرام مصر هي أحد عجائب الدنيا السبع التي مازالت موجودة كما هي وهي لثلاث ملوك هم (خوفو - خفرع - منقرع) وقيل أنها بنيت لتكون مقابر لهؤلاء الملوك . وقيل هربا من الطوفان الذي أخبر به أهل العلم من كتب السابقين وبالقرب من هذه الأهرام الثلاثة صنم كبير المعروف بأبي الهول وهو عبارة عن جسم أسد ووجهه وجه إنسان وقيل أنه نحت ليكون حارسًا لهذه المقابر الثلاث وما حولها .

وقد استغرق بناء الأهرام عشرين عامًا وعمل بها أكثر من مائة ألف عامل من الفلاحين والمزارعين في مصر وكان العمل بهذه الأهرام في أوقات الجفاف السنوي الذي يحدث للذيل ويكون ليس لهؤلاء العمال عمل بالأرض الزراعية فإذا عادوا العام القادم في الجفاف .

الكتابة على البرابي :

وصل إلى الفراعنة خبر الطوفان من كتب السابقين لكنهم لم يكن لديهم حقيقته هل هو طوفان ماء أم طوفان نار لذلك أقاموا المعابد وسجلوا عليها أعمالهم حتى تعيش . وكانت هذه المعابد من الطين ومن الحجر وهذه النقوش هي عبارة عن سجل الزمن والتاريخ . فإن كان الطوفان ماء بقيت نقوش الحجر وإن كان الطوفان نار بقيت نقوش الطين وتحولت من الطين اللين إلى (الطوب الأحمر) وقد كتبت على هذه البرابي أعمال الملوك وبعض أقوال الحكماء ومنها :

١. احذروا العبيد المعتقين .
٢. واحذروا أحداث المغتربين .
٣. احذروا الجند المتعبدين .
٤. احذروا النبط المستعربين .
٥. يقدر المقذور والقضاء يضحك .
٦. تدبر النجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يريد .

من أقوال كعب الأحبار عن مصر :

سأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كعب الأحبار عن طبايع البلدان

فقال كعب :

(إن الله عزوجل لما خلق الأشياء جعل كل شيء لشيء ، فقال

العقل : أنا لاحق بالشام . فقالت الفتنة : وأنا معك) .

وقال الخصب : وأنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك .

وقال الشقاء : أنا لاحق بالبارية ، فقالت الصحة : وأنا معك .

وقال البخل : أنا لاحق بالمغرب ، فقال سوء الخلق : وأنا معك ، وقال لما

خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء الإيمان ، الحياء ،

النجدة ، الفتنة ، الكبر ، النفاق ، الغنى ، الفقر ، الذل ، الشقاء .

فقال الإيمان : أنا لاحق باليمن ، فقال الحياء : وأنا معك ، وقالت

النجدة : وأنا لاحق بالشام ، فقالت الفتنة : وأنا معك .

وقال الكبر: أنا لاحق بالعراق ، فقال النفاق: وأنا معك .

وقال الغنى :وأنا لاحق بمصر ، فقال الذل : وأنا معك.

ويقول بن عباس : [المكرعشر أجزاء تسع منها في القبط .وجزاء واحد في باقي كل الناس] .

لعنة الفراعنة :

لقد نجح الفراعنة في أن تكون لهم الذكرى بهذه الأعمال الخالدة التي تركوها لنا ومازالت تحيا بيننا إلى يومنا هذا ومما زادهم نجاحًا أنهم استطاعوا حراسة هذه المعابد والآثار بعد حياتهم بما زرعه في نفوس الناس من أن هناك لعنة الفراعنة سوف تحل على كل من يقترب من مقابرهم وأمجاد موتاهم وأمتنع الكثيرين إلى عهد قريب في ذلك ، ولكن لو كانت هذه حقيقة ما اكتشف هذا العدد الكبير من الآثار (والمياوات) وغيرها من أثرها وإن كان يساعدهم على ذلك أن هذه المقابر عند فتحها يخرج الهواء المحبوس بداخلها منذ آلاف السنين فيسبب بعض حالات الإغماء عند بداية فتح هذه المقابر ولكن بعد ذلك يزول كل ذلك ولا يكون له أي أثر .

ولكن على أي حال فلهؤلاء الأجداد المصريين التحية والتقدير على هذا الفكر الذي كان في عصرهم والذي مازال يعيش بيننا إلى اليوم .